إشكالية العقل في الفكر العربي

مقدّمة.

تعتبر إشكالية العقل من أبرز القضايا التي شغلت الفكر العربي المعاصر، إذ تتقاطع فيها أسئلة النهضة، الهوية، والعلاقة بالتراث والحداثة، كما تبرز تساؤلات ذات العلاقة بالتفسير والتأويل وفهم النص الديني وغيرها من الإشكاليات المطروحة المرتبطة بحالة العقل العربي وعلاقته بالعقل والمنطق والبرهان، من هنا يمكن صياغة الإشكال الآتي: كيف يمكن بناء عقل عربي قادر على الإبداع والتقدم، دون القطيعة مع التراث أو الارتهان له؟

1- مفهوم العقل:

العقل هو خاصية تجعل الإنسان قادرا على الفهم، والتحليل، والاستدلال، والنقد بواسطته يميّز الإنسان بين الصواب والخطأ، وينظّم معارفه، ويُفسّر الظواهر من حوله.

في الفلسفة : يُنظر إلى العقل كأداة للمعرفة وإنتاج الحقيقة، عند أرسطو هو قوة التفكير المنطقي، وعند ديكارت هو أساس اليقين (أنا أفكر إذن أنا موجود).

في الفكر الإسلامي: العقل له مكانة كبيرة، إذ يُعتبر وسيلة لفهم النصوص الدينية واستنباط الأحكام، لكنه غالباً ما يرتبط بـ النقل (الوحي)، ما يطرح إشكالية العلاقة بينهما.

2- العوامل المحيطة بإشكالية العقل في الفكر العربي:

تحيط بإشكالية العقل في الفكر العربي العديد من العوامل والظروف منها:

- حالة التخلف والتبعية التي أصبحت تعيشها الأمة العربية وعلاقة ذلك بالعقل.
- صدمة الاحتكاك بالغرب والتساؤل حول مرتكزات النهضة للحضارة الغربية، ومدى حضور العقل في هذا النموذج الغربي.
- مكانة العقل والتفكير النقدي في بناء حالة الحضارة لدى الغرب.

3- الاتجاهات المشكّلة لهذا الموضوع:

أ- الاتجاه الإصلاحي: يرى أنصار الاتحاه الإصلاحي مع كل من محمد عبده، جمال الدين الأفغاني، ابن باديس...الخ أن العقل ضروري لكل مشروع نهضة وتقدم، من هنا دعوا إلى إعمال العقل في تفسير النصوص الدينية، وربط الدين بمصالح الناس وتطور العصر فكانت دعوتهم صريحة إلى الاجتهاد بتوظيف العقل واسناد قضايا الحياة والمجتمع للعقلانية المعتدلة التي لا تناقض الدين.

ب- الاتجاه النقدي: في مقابل الاتجاه الإصلاحي المحافظ ظهر اتجاه نقدي أكثر تجذراً مع مفكرين عرب ناقشوا إشكالية العقل، ولعلّ أبرزهم وأكثرهم تأثيرا محمد عابد الجابري الذي اشتغل على تحليل "بنية العقل العربي"، وميّز بين أنماط معرفية (البياني، العرفاني، البرهاني)، معتبراً أن هيمنة التفكير البياني والعرفاني عطّلت تطور العقل النقدي البرهاني، فهو يدعو صراحة إلى إعادة هيكلة البنى المتحكمة في العقل العربي سواء المعرفي أو الأخلاقي أو السياسي بتأسيسه على البرهان والمنطق والفكر النقدي المبدع، وأن هذا إذا حصل سيكون الدافع لنهضة العقل العربي والتحاقه بركب الحضارة الغربية المؤسسة على العقل والعقلانية.

ج- الاتجاه التجديدي: يمثّل هذا الاتجاه الكثير من المفكرين على غرار حسن حنفي، عبد الله العروي، يدعو حسن حنفي إلى تجديد التراث من الداخل، أي إعادة قراءته بعقل معاصر يخدم قضايا التحرر والتقدم دون القطيعة معه، أي التسليم بالعقل النقدي ودوره في تحقيق النهضة، في حين اتجه عبد الله العروي نحو تبنّي الحداثة كخيار تاريخي حتمي، داعياً إلى القطيعة مع البنى التقليدية التي تعيق العقلانية أي تبني عقل الحداثة المؤسس على العقلانية والتفسيرات المنطقية البرهانية بعيدا عن معطيات العقل الميتافيزيقي.

4- قراءة تقييمية:

تبرز إشكالية العقل كإشكالية محورية لا تنفصل عن مسائل النقل والسلطة والحداثة...الخ، وبالتالي النظرة للعقل لابد أن تكون في سياق عام مرتبط بحالة العقل العربي ومرتكزاته ومواقفه وطموحه النهضوي والحضاري.

الخاتمة.

إن أزمة العقل في الفكر العربي المعاصر ليست أزمة قدرات، بل أزمة شروط تاريخية وثقافية وحضارية، وأن الحل لا يكمن في رفض التراث أو تقديسه، بل في قراءته قراءة نقدية عقلانية، وبناء منظومة فكرية توازن بين الأصالة والمعاصرة، وتؤسس لعقل حر، ناقد، ومنتج للمعرفة، مرن قادر على التغيير والتجديد.